270017 ـ هل يجب تفويض الأمر إلى الله في كل أمورنا ؟

السؤال

سمعت الشيخ الشعراوي يقول : إن جعفر الصادق قال : أعجب لمن مكر الناس به ، ولم يفزع لقول الله تعالى : (وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ) ، فهل يقتصر هذا القول على مكر الناس ؟ أم يمكن استعماله في معاني أخرى ؟ وماهي ؟ وهل يجوز أن أفوض أمري إلى الله في تأديب أبنائي بآداب الإسلام ، وأن يحبب إليهم حبه ؟

الإجابة المفصلة

الحمد لله.

هذا القول المنسوب إلى جعفر الصادق هو إشارة إلى قوله تعالى وهو يعظنا بقصة مؤمن آل فرعون وما قال لقومه:

(فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ * فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ) غافر /44 ـ 45.

قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله تعالى:

" وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة: (وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ * فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا) : دليل واضح على أن التوكل الصادق على الله، وتفويض الأمور إليه سبب للحفظ والوقاية من كل سوء ...

فقد دلت هذه الآية الكريمة، على أن فرعون وقومه أرادوا أن يمكروا بهذا المؤمن الكريم وأن الله وقاه، أي حفظه ونجاه من أضرار مكرهم وشدائده ، بسبب توكله على الله، وتفويضه أمره إليه " انتهى، من "أضواء البيان" (7 / 96 ـ 97).

وهذه الآية كمثل الآية الأخرى:

(الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ * فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ) آل عمران /173 – 174.

فتفويض الأمر إلى الله تعالى، معناه التوكل على الله تعالى وحده.

قال الطبري رحمه الله تعالى:

" وقوله: (وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ) يقول: وأسلم أمري إلى الله، وأجعله إليه وأتوكل عليه، فإنه الكافي مَنْ توكَّل عليه " انتهى، من "تفسير الطبري" (20 / 335).

وقال ابن كثير رحمه الله تعالى:

" (وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ) أي: وأتوكل على الله وأستعينه " انتهى، من "تفسير ابن كثير" (7 / 146).

ثانيا:

تفويض الأمر إلى الله تعالى ، والتوكل عليه : مطلوب في كل أمر مراد من أمور الدين والدنيا؛ وقد أمر به الوحي في نصوص كثيرة؛ ومن ذلك:

قال الله تعالى: (وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) المائدة /23.

وقال الله تعالى: (وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا) النساء /81.

وقال الله تعالى: (وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ) هود /123.

وقال الله تعالى: (وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ) الفرقان /58.

فالحاصل؛ أن تفويض الأمر إلى الله في تربية الأولاد هو بمعنى التوكل على الله تعالى ، واللجوء إليه ، في تحقيق هذا المبتغى، والتفويض في أمر العبد كله : حسن مطلوب ، والتوكل على الله: من أجل العبادات .

لكن التوكل والتفويض الصحيح : لا بد أن يقترن به القيام بالأسباب المشروعة ، كما يشير إليه حديث أَنَس بْن مَالِكٍ؛ حيث قال: (قَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَعْقِلُهَا وَأَتَوَكَّلُ، أَوْ أُطْلِقُهَا وَأَتَوَكَّلُ؟ قَالَ: اعْقِلْهَا وَتَوَكَّلْ) .

رواه الترمذي (2517) وحسنه الألباني في "صحيح سنن الترمذي" (2 / 610).

قال المباركفوري رحمه الله تعالى:

" قوله (أعقلها) بصيغة المتكلم ، وحرف الاستفهام محذوف ، قال في القاموس: عَقَل البعير: شَدَّ وَظِيفَه إلى ذِراعِه، كعَقَّلَه ، واعْتَقَلَه، انتهى. (وأتوكل) : أي على الله ، بعد العقل .

(أو أطلقها) أي أرسلها ، (وأتوكل) : أي على الله بعد الإرسال ؟

(قال : اعقلها) قال المناوي: أي شُد رُكبة ناقتك مع ذراعيها بحبل ، (وتوكل) أي اعتمد على الله، وذلك لأن عقلها لا ينافي التوكل " انتهى. "تحفة الأحوذي" (7 / 186).

فالمتوكل على الله حقيقة : يباشر الأسباب المشروعة ؛ خاصة إذا كانت واجبة.

قال ابن رجب رحمه الله تعالى:

" واعلم أن تحقيق التوكل لا ينافي السعي في الأسباب التي قدر الله سبحانه المقدورات بها، وجرت سنته في خلقه بذلك، فإن الله تعالى أمر بتعاطي الأسباب ، مع أمره بالتوكل، فالسعي في الأسباب بالجوارح طاعة له، والتوكل بالقلب عليه : إيمان به ...

ثم إن الأعمال التي يعملها العبد ثلاثة أقسام:

أحدها: الطاعات التي أمر الله عباده بها، وجعلها سببا للنجاة من النار ودخول الجنة، فهذا لابد من فعله مع التوكل على الله فيه، والاستعانة به عليه، فإنه لا حول ولا قوة إلا به، وما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن .

فمن قصر في شيء مما وجب عليه من ذلك، استحق العقوبة في الدنيا والآخرة شرعا وقدرا " انتهى، من "جامع العلوم والحكم" (2 / 498 ـ 499).

وتربية الأولاد لا بد أن يجتمع فيها التوكل على الله تعالى ، مع مباشرة أسباب ووسائل التربية الصحيحة، كما أمر الشرع. قال الله تعالى: (يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ) التحريم /6.

قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله تعالى :

" ويجب على الإنسان أن يأمر أهله بالمعروف كزوجته، وأولاده، ونحوهم، وينهاهم عن المنكر : لقوله تعالى: (يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا) الآية ، وقوله صلى الله عليه وسلم: (كلكم راع، وكلكم مسؤول عن رعيته) الحديث " انتهى، من "أضواء البيان" (2 / 209) .

والله أعلم.